

## وسائل عرض تفسير القرآن الكريم

عند الإمامين محمد الخضر حسين وعبد الحميد بن باديس

The tools of interpreting the Holly Quran

by Mohamed Khidr Hocine and Abdelhamid Ibn Badis

بن ديمية جيلالي<sup>1</sup>

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

djilali\_45@hotmail.fr

تاريخ الوصول 2021/03/21 القبول 2021/08/11 النشر على الخط 2021/01/30

Received 21/03/2021 Accepted 11/08/2021 Published online 30/01/2021

## ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الوسائل التي استثمرها المفسرون في عرض تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، كما تسلط الضوء على مفسرين اثنين من علماء العصر الحديث عاشا الفترة نفسها والظروف ذاتها، وهما الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر ذو الأصول الجزائرية وتلميذه الشيخ عبد الحميد بن باديس، وما أتيج لهما من وسائل استغلها كل منهما لتبليغ تفسير كتاب الله للعامة والخاصة، كما يُظهر هذا البحث أوجه التشابه والتقاطع - بين الشيخين - في طريقة العرض؛ وكذا أوجه الاختلاف في إيصال المعلومة التفسيرية للجماهير، فالفترة التي عاصرها هذان العالمان شهدت وسائل للتواصل عمّ نفعها وصارت تصل إلى أكبر شريحة في المجتمع بل صارت المعلومة تعبر القارات في فترة وجيزة وتصل إلى جمع كبير من الناس.

وإذا كان أهل الزيف والباحثون عن الشبهات يستغلون وسائل الإعلام مثلا لتشكيك المسلمين في دينهم فإن علماء الإسلام ومنهم هذان الإمامان جعلوا منها خير وسيلة للرد على تلك الشبهات والدفاع عن القرآن الكريم وعلومه.

**الكلمات المفتاحية:** محمد الخضر، ابن باديس، المجلات، الأزهر، التأويل.

**Abstract:**

in showing the Holly Quran in the modern era .It highlights two interpreters of the scientist of modern era who lived in the same period and situation , they are Chikh Mohamed Khidr Houcine chikh El Azhar the Algerian originsand his learner chikh Abdelhamid Ibn Badis And what was made available to them from the means they used to communicate the interpretation of the Holly Quran to the public and private .

This research shows also the similarities and differences between both scientists in the way of showing and the difference in communicating interpretative information to the masses by using the mass media to reach the majority of people not only in society but all over the world in short time. And if the people of the deviation and those looking for suspicions are taking advantage of the media as for Muslims to question their religion, the scholars of Islam, including these two imams, made it the best way to respond to these suspicions and defend the Holly Qur'an and its sciences.

**Keywords:** Mohamed Khidr Hocine , Abdelhamid Ibn Badis, magazines , al azhar, interpretation.

<sup>1</sup> المؤلف المرسل: بن ديمية جيلالي البريد الإلكتروني: djilali\_45@hotmail.fr

## 1. مقدمة:

يبعث الله عز وجل في كل فترة من الفترات من يجدد لهذه الأمة دينها، ويصحح مفاهيمها، وقد يكون هؤلاء المجددون أو المصلحون أفراداً، أو هيئات وجماعات، تهتدي الأمة بهم، وتنقاد لرأيهم، وترجع إليهم كلما نزلت بها نازلة، أو عرض لها أمر يتعلق بدينها أو دنياها، والمفسرون هم من هذه الطائفة التي آتاها الله فهما لكتابه، وأوكل إليهم بيانه وتعليمه، ويعد كل من محمد الخضر حسين وعبد الحميد بن باديس من هؤلاء المفسرين الذين ظهرت جهودهم وشهد بها من عاصرها أو تتلمذ عليهما أو جالسهما، كما شهد بذلك آثارهما التي خلفها وعلمهما النافع الذي تركاه.

وقد كانت الفترة التي عاصرها هذان الإمامان من أهم الفترات التي مرت على المسلمين وهي الفترة الممتدة من النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى نهاية النصف الأول من القرن العشرين، فقد شهدت تحولات كبرى في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية للأمة الإسلامية، وأبرز ما ميزها هو الاستعمار الغربي وما صحبه من آثار سلبية في أفراد الأمة، وما نتج عن هذا الاستعمار من أفكار وافدة وشبهات وتأويلات منحرفة لكتاب الله عز وجل، فكان المقصود الأول والمستهدف الأساس هو القرآن الكريم لأنه صمام أمان الأمة ومصدر قوتها وسعادتها، كما أفرز الواقع عدة قضايا وتسؤلات ملحة تحتاج إلى إيجاد أجوبة شافية ومقنعة عليها، فعظمت مسؤولية العلماء وصار لزاما عليهم أن يبلغوا معاني هذا الكتاب وبيئته للناس ولا يكتفوه، وأن يوجدوا لزمانهم حلولاً لتلك الإشكالات .

ولا شك أن جواب ذلك مبثوث في كتاب الله ويجليّه العلماء الراسخون، وكان من هؤلاء الراسخين عالمان حملاً هموم الأمة ووقفاً موقف المدافع عن حياض القرآن الكريم، وموقف المبلّغ لمعانيه بأسلوب يتناسب مع العصر الذي عايشاه، ونقصد بهذين العالمين، الشيخين محمد الخضر حسين التونسي المولد والجزائري الأصل المولود بتونس في 26 رجب عام 1293هـ الموافق لـ 21 جويلية 1873 م والمتوفى بمصر في 13 رجب 1377 هـ الموافق 22 فبراير 1958 م وقد عاش نصف حياته بتونس والنصف الآخر قضاه مهاجراً في مختلف البلاد، فقد طوف وجمال وزار كثيراً من البلاد الإسلامية والأوروبية إلى أن استقر بمصر، أما الشيخ الآخر فهو عبد الحميد بن باديس الذي ولد بقسنطينة سنة 1307هـ - 1889م والمتوفى في 1359 هـ - 1940 م.

وبما أن العصر كان عصر النهضة وظهور الكثير من وسائل الإعلام المقروءة والمكتوبة والمسموعة فضلاً عن أماكن التعليم ودور الثقافة، فإن الإشكالية التي تطرح نفسها : كيف تعامل الشيخان مع وسائل التواصل المتاحة في ذلك العصر؟ وكيف استطاعا أن يوصلا تفسير القرآن الكريم عبر هذه الوسائل إلى أكبر شريحة من أطياف المجتمع المختلفة؟.

أما أهمية الموضوع فتكمن في ضرورة استغلال المفسر للوسائل الحديثة والاستفادة من التقنية المتطورة لأجل تفهيم كتاب الله وتسهيل عرض التفسير وإيصاله إلى أكبر قدر من الناس.

وبخصوص الدراسات السابقة فلم أعثر على دراسة بهذا العنوان تتناول أحد الشيخين بالدراسة في هذا الجانب ما عدا دراسة بعنوان: " التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث " وهي أطروحة دكتوراه للباحثة نادية وزناجي من جامعة الحاج لخضر - باتنة - أشارت فيها إلى مسيرة الشيخ ابن باديس في التفسير وأبرزت طريقة عرضه لتفسير القرآن الكريم وإلقائه مشافهة في المساجد وكذا تدوين التفسير عبر الجملات والجرائد التي أصدرها الشيخ أو أصدرتها جمعية العلماء المسلمين التي كان يرأسها.

## 2. طرق عرض التفسير في العصر الحديث:

تعددت طرق عرض التفسير وتلقي السامعين لها فكان منها طرق أشبه بطرائق السلف والأقدمين و كان منها طرائق أخرى ساعدت في انتشارها ظهور وسائل جديدة استغلها أهل الفكر والعلم لإيصال علومهم -ومنها علم التفسير- إلى مختلف الطبقات والمستويات العلمية والثقافية ويمكن إجمال هذه الطرق في مايلي:

### 1.2 طريقة الإلقاء والسماع:

أنزل الله كتابه العزيز على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأوكل إليه مهمة بيانه، وتوضيح ما أشكل على الناس فهمه، وقد يكون هذا التوضيح جوابا عن سؤال سألته سائل، أو يكون وحيا أوحاه الله عز وجل إلى نبيه، وكانت الطريقة المنتهجة لذلك هي الإلقاء من رسول الله والسماع من المؤمنين، وهكذا الأمر بالنسبة لعصر الصحابة ومن بعدهم.

ولما ظهرت مرحلة التأليف والتدوين بقيت طريقة الإلقاء من المفسر سارية جارية، والسامعون بين معتمد على ذاكرته يُدون ما ألقاه المفسر، وبين مُدَوّن ومقيد لما يسمعه أو يلقىه الشيخ، "وتمتاز هذه الوسيلة بأنها من أقوى وسائل الإقناع وأشدّها تأثيراً، فالمتلقي غالباً ما يصغي إلى ما يقوله المتكلم"<sup>1</sup>، وقد وفق الله عز وجل كثيرا من المفسرين إلى إملاء مادة التفسير على من يحضرون مجلسه، ولما كان الموضوع يقتضي الكلام حول الفترة التي عاصرها محمد الخضر حسين وعبد الحميد بن باديس فإن هذه الطريقة كانت واسعة الانتشار، حيث نراها مادة علمية مقررة في الجامعات الكبرى، جامع الزيتونة والجامع الأزهر وجامع القرويين، وقد اصطُح بعضهم على تسمية هذا النوع من التفسير -والذي يعتمد على الإلقاء والإصغاء- التفسير الشفهي، وهذا النوع من التفسير يكثر في:

أ - المساجد

ب - الجامعات ومراكز التعليم

ت - المحاضرات

ث - المسامرات والمناظرات العلمية والمذاكرات

وظيفة السامعين - في هذا النوع - كتابة ما يُملَى عليهم، كلّه أو خلاصته، وكانت المحابر والأقلام والأوراق هي الأدوات اللازمة لرواد مجالس العلم إلا في مقامات مقابلة الأصول وضبطها، فهنا لا بدّ من إحضار النسخ الكاملة من الكتب<sup>2</sup>.

لقد أعطى العلماء اهتماما كبيرا لهذه الطريقة وكانت وسيلة لإيصال تفسير كتاب الله لأكثر عدد، خاصة وأن ذلك كان يتم عبر المساجد والمنتديات التي يرتادها العامة، وإنما ظهرت عناية العلماء بالتفسير المسموع لأن "الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء؛ ولأن نظر المتكلم وحركاته وإشاراته ولهجته في الكلام - كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه، وأيضا

<sup>1</sup> - الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير بن جميل راضي، رابطة العالم الإسلامي، دط، جدة، السعودية، 1417هـ، ص 50.

<sup>2</sup> - عبد الحميد محمد بن باديس، آثار ابن باديس: تحقيق: عمار طالي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط01، 1388 هـ - 1968 م، ج 2 ص 101.

يُمكن السامع من أن يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه فإذا كان مكتوباً فمن يسأل؟ إن السامع يفهم 80 في المائة من مراد المتكلم، والقارئ لكلامه يفهم منه 20 في المائة على ما أراد الكاتب<sup>1</sup>.

لقد كان لرجال الإصلاح في هذه الفترة رغبة بالاحتكاك بالجماهير، وقد لا يتاح لهم الاستقرار في مكان واحد، لذا كانوا يعتقدون مجالس للتفسير كلما وجدوا فرصة للقاء العامة، فهذا محمد عبده لما حل ببيروت "عقد مجلساً للتفسير، ثلاث ليالٍ في الأسبوع، لا يتبع فيه الطريقة الملتزمة يومئذ من الاعتماد على كتاب يقرر كلامه ويدور البحث على مسأله وعباراته، ولكنه كان يقرأ الآية من القرآن، ويفيض في شرح معانيها، واستخراج أسرار حكمتها، ويلتفت على نور تلك الحكمة القرآنية إلى أحوال المسلمين وأوضاعهم مبيناً فسادها بالمقارنة، ومستمداً من الهدى القرآني ما يوضح ضررها، ويشير إلى ما يدفع خطرها"<sup>2</sup>.

أما محمد الخضر حسين فالمتتبع لحياته العلمية ومجالسه يرى اهتمامه بالتفسير الشفهي، فمنذ وجوده بتونس عكف على تدريس مادة التفسير في مساجدها، والنوادي التي يلتقي فيها العلماء والعامة، يقول في هذا الشأن: "وأذكر أنه طلب مني بعض الطلبة أن أقرأ لهم "تفسير البيضاوي" في جامع (حمودة باشا)، فأجبت رغبتهم، وقرأت منه دروساً<sup>3</sup>، أمّا في كتابه الرحلات<sup>4</sup> وهو كتاب لخص فيه رحلاته بوصف وجيز للمسالك والمعالم، واهتم فيه بذكر العلماء والأدباء وما كان له معهم من المحاورات، وما عَنَّ له من الملاحظات والأفكار"<sup>5</sup>، وقد دون فيه جملة من المسامرات والمناظرات والدروس التي ألقاها في هذه الرحلات والتي كان غالبها يتعلق بتفسير كتاب الله، ومن جملة ما ذكره في هذه الرحلة، رحلته إلى الجزائر وزيارته لكثير من مدنها كسوق اهراس، العين البيضاء، وتبسة، وقسنطينة، والجزائر العاصمة، وذكر حضوره بقسنطينة لمجلس حمدان بن الويسي - شيخ ابن باديس - فإذا هو يقرئ في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ﴾ (البقرة: 106) بتفسير الخازن، ثم عرض محمد الخضر لما طُرح عليه - أي على محمد الخضر - من أسئلة تتعلق بالتفسير قال: "وبعد أن تمّ الدرس، تقدم إلينا بعض الطلبة الذين سبقت لهم بنا معرفة مسترشداً عن مسائل، منها: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَأَنْقُضُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۗ﴾ (الأنفال: 25)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾ (الأنعام: 164)، فكان الجواب: أن الله لا يؤاخذ أحداً بوزل أحد، وإنما يستحق العقوبة صاحب الذنب، إلا أن الله فرض على كل مسلم رأى منكراً أن يغيّره، فإذا لم يفعل ما استطاع من تغييره، وسكت، كان عاصياً، فينخرط مع صاحب الذنب في العقوبة، أحدهما بفعله، والآخر برضاه<sup>6</sup>، واستدل لها بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۗ﴾ (المائدة: 79).

<sup>1</sup> - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1990م، ج 1 ص 13.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث بالأزهر، مصر، دط، 1390هـ - 1970م، ص 165.

<sup>3</sup> - محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن، دار النوادر، سورية، دمشق، ط 1421، 01هـ - 2010م، ص 71.

<sup>4</sup> - ذكر محمد الفاضل بن عاشور أن فن الرحلات امتاز فيه من تونس ثلاثة كتاب هم: "محمد بن الخوجة" و"محمد الخضر حسين"، و"علي الورداني"، ينظر: محمد الفاضل بن عاشور - الحركة الأدبية والفكرية في تونس: ص 107.

<sup>5</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين 13-14هـ/19-20 -، مطبعة الرشيد، تونس، ط 01، 2009م، ص 108.

<sup>6</sup> - محمد الخضر حسين، الرحلات، دار النوادر، سورية - دمشق، ط 1431، 01هـ - 2010م، ص 32.

هذا هو دأب محمد الخضر حسين فكلما حل بمسجد أو زاوية أو معهد أو جامع، أو حضر وليمة أو أقيم مجلس للسمر أو الحوار أو المناظرة إلا وأتحف المجلس بفوائد تتعلق خاصة بالتفسير وكثيرا ما يفتح المجال للحاضرين لإلقاء تساؤلاتهم وما يُشكل عليهم في بعض المسائل المتعلقة بالتفسير.

لقد كان المفسرون الذين يلقون دروسا في التفسير بالمساجد كثيرا ما يلاقون المعارضات والمضايقات، أحيانا من الحكومات، وأحيانا من الأفراد، وقد تستند هذه المضايقات إلى حجج تكون أحيانا مبررة وأحيانا لا تستقيم ولا تقوم على دليل، وقد نال كلٌّ من محمد الخضر وابن باديس حظه من هذه المعارضة، وقد ساق محمد الخضر حسين موقفا يتعلق بتدريسه للتفسير يدل على حرص الحكومة التونسية في ذلك الوقت على ألا يتصدر للتفسير إلا من كان أهلا له أو شهد له العلماء الراسخون أنه أهل لذلك حيث نجده يقول "وأذكر أنه طلب مني بعض الطلبة أن أقرأ لهم "تفسير البيضاوي" في جامع (حمودة باشا)، فأجبت رغبتهم، وقرأت منه دروساً، فأرسل إليّ القاضي المالكي يدعوني إلى المحكمة، فذهبت إليه، فقال لي: بلغني أنك تُدرّس التفسير، فقلت: نعم، فقال لي: على من قرأته؟ فقلت: على شيخنا عمر بن الشيخ، وشيخنا محمد النجار، فقال لي: هؤلاء ما قرؤوا التفسير إلا بعد أن صاروا شيوخاً كباراً، فبلغ الأمر إلى الوزير الكبير الشيخ: "محمد العزيز بوعتور"، فقال: يترك المسجد الذي تكلم معه عنه القاضي المالكي؛ عملاً بقاعدة عدم النزاع مع الكبراء، ويدرس في مسجد آخر، فقرأت التفسير في مسجد (أبي القاسم الجليزي)"<sup>1</sup>.

أما في الجزائر فإن فرنسا قد سمحت للعلماء بتعليم العامة قواعد العبادات وصفات الله. أما تفسير الآيات من القرآن الكريم فهو يحتاج إلى رخصة رسمية، وعلى المدرس أن يختار الآيات التي تناسب المقام، وأن يتقيد بالمرخص فيه في الرأي والاستنتاج<sup>2</sup>، هذا بخصوص معارضة الحكومات أما معارضة بعض الأفراد فتتجلى في هذا الموقف الذي نال ابن باديس فأثناء إلقاءه درسا في التفسير بجامع سيدي عقبة قام له أحد المدرسين وأحدث ضجة وأعلن أنه لا فائدة من التفسير، والأولى منه درس في مختصر الشيخ خليل بن إسحاق في الفقه<sup>3</sup>.

والظاهر أن هذا لم يكن خاصا بمهذين البلدين الجزائر وتونس بل إنه تعدى إلى أقطار أخرى، حتى كان بعض الأمراء يتطهرون من دروس التفسير في المساجد ويرون أن ذلك إيدان بخراب مُلكهم، وهو الذي أكده محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفلالي (1291هـ - 1874م - 1376هـ - 1956م) فقد تحدث عن هذه الطيرة بقوله: "ورام بعض الولاة منعى منه بدعوى التطير بقراءته، وأنه يتسبب عنه موت السلطان، كما فعلوا بشيخي "جنون" فيما سبق، فعصمني الله منهم وأكملته والحمد لله، وكان ختمه سنة 1338هـ"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - بلاغة القرآن، ص71-72.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط01، 1998م، ج07 ص11.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج07 ص12.

<sup>4</sup> - الحجوي محمد الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م، ج01 ص19.

ولا شك أن ظهور الحركة الإصلاحية ونمو التيار الوطني السياسي، قد شجعا العلماء في الجزائر على الخوض في التفسير، كما أن الحكومة الفرنسية قد تعاضت عن ذلك حتى تترك للمناقشة طريقها، لأن نشاط علماء الإصلاح قد أظهر عجز علماء الإدارة ورجال التصوف عن مواكبة الركب السياسي والثقافي<sup>1</sup>.

وهذا الذي شجع ابن باديس على اقتحام التفسير وبثه في العامه وكان المسجد هو الوسيلة والملاذ الذي رآه ابن باديس موثلاً لإيصال معاني كتاب الله إلى جماهير المسلمين، فقد ألقى تفسير كتاب الله مدة خمس وعشرين سنة، وكان ختمه له بمدينة قسنطينة بالجامع الأخضر في يوم الأحد الثالث عشر من ربيع الثاني عام 1357هـ الموافق 1938/06/12م، "وأراد الله، فحقّق للأستاذ أمنيته من ختم التفسير وللأمة رجاءها في تسجيل هذه المفخرة للجزائر<sup>2</sup>، وقد تحدث البشير الإبراهيمي عن هذا اليوم وكيف تم الاحتفال به، وحضور الوفود من مختلف ولايات الوطن وتحدث عن لحظة الختم وما خيم على الحاضرين من الخضوع والأنس، يقول محمد البشير الإبراهيمي "ما كادت تشرق شمس يوم الأحد حتى اكتظّ الجامع الأخضر بالوفود، فلم يبق فيه متنفس وشمل الخشوع تلك الصفوف المترابطة حتى لا حركة ولا ضوضاء، وتجلّى جلال كلام الله في بيت الله فكان مشهداً يستنزل الرحمت، ويتكفل باستجابة الدعوات، وصعد الأستاذ المفسر منبر الدرس فشخصت العيون وخفتت الأنفاس واستهلّ بتلاوة المعوذتين. وشرع في تفسيرهما بما هو معهود منه"<sup>3</sup>.

لكن هذا التفسير الذي استمر كل هذه المدة لم يصلنا منه سوى تفسير المعوذتين الذي لخص مضمونه البشير الإبراهيمي، وإذا كان المفقود من التفسير -سوى المعوذتين- بنفس النقص والعمق والروح التي أضفاها ابن باديس على المعوذتين، فإن الأمة الإسلامية ضاع منها خير كثير وعصارة عقل قلما يتكرر مثله، وفهم جديد وإضافة جديدة لعلم التفسير ما كان ينبغي إهمالها أو التفريط فيها. وقد تحدث محمد العيد آل خليفة عن هذا الختم وعلق عليه في قصيدة عنوانها ب: "ختمت كتاب الله" ومما جاء فيها:

وَدَرَسُكَ فِي التَّفْسِيرِ أَشْهَى مِنَ الْجَنَى      وَأَبْهَى مِنَ الرُّوضِ النَّصِيرِ وَأَبْهَرُ  
خَتَمْتَ كِتَابَ اللَّهِ خَتْمَ دَارِسٍ      بَصِيرٍ لَهُ حَلُّ الْعَوِيصِ مُبَسَّرُ  
فَكَمَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ فَهْمٌ مُؤَفَّقٌ      وَكَمَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ قَوْلٌ مُحَرَّرُ  
قَبَسْتَ مِنَ الْقُرْآنِ مَشْعَلَ حِكْمَةٍ      يُنَارُ بِهِ السِّرُّ اللَّطِيفُ وَيُبْصَرُ  
وَبَيَّنْتَ بِالْقُرْآنِ فَضْلَ حَضَارَةٍ      أَقَرَّ لَهَا كِسْرَى وَأَدْعَنَ قَيْصَرُ<sup>4</sup>

## 2.2. المآخذ والملاحظات على وسيلة نشر التفسير بالإلقاء والسماع

إن هذه التفاسير الشفهية التي اختار أهلها هذه الطريقة لإيصالها إلى الجمهور منها ما حفظ وأكثره ضاع مع الأيام، وقد أورد العلماء عدة مآخذ وانتقادات على هذا النمط من تبليغ التفسير منها:

<sup>1</sup> - تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07 ص 12 .

<sup>2</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1997، 1م، ج 01 ص 335.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج 01 ص 337 .

<sup>4</sup> - محمد العيد، آل خليفة - الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، دط، 2010م، ص 146.

1- أن أكثر تفاسير العلماء التي ألقوها في المجالس ضاعت، وما بقي منه إنما هو ما استدركه المفسر وأعاد كتابته، أو ما تم جمعه مما تفرق في أيدي السامعين من تقييدات أو ملخصات، وطريقة التلقين أو الإلقاء ربما تكون مجدبة إذا وجدت ملكات سريعة الاستيعاب وأقلاما سريعة التقييد، لكن بعض المفسرين لا يجذون ذلك، بل يلزمون الحاضرين بالسماع فقط، وبهذا قد ينتفع البعض ويُحرم آخرون، يقول ابن خلدون: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيدا إذا كان على التدرّج شيئا فشيئا، وقليلًا قليلًا، يلقي عليه أوّلا مسائل من كلّ باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ"<sup>1</sup>، بل حتى عند ظهور المسجلات التي كانت تسجل دروس العلماء في هذه الفترة فإن كثيرا من طلبة العلم فاتهم تسجيل تفاسير العلماء وأرجع بعضهم هذا الإغفال إلى كبر حجم المسجلات، حيث يصعب حملها مع حمل الكتب، ومنها أنها تحتاج إلى أشربة كثيرة قد يصعب على الطالب شراؤها؛ لقلة النفقة" وسبب آخر يرجع إلى طبيعة بعض الشيوخ وترتيبهم حيث كان بعضهم يكره أن يرى طالبا يكتب وقت إلقائه المحاضرة ويغضب غضبا شديدا"<sup>2</sup>، وأشار إلى المآخذ المسجلة على هذه الطريقة البشير الإبراهيمي، ونعى على طلبة العلم إهمالهم لما يسمعون في مجالس التدريس؛ قال هذا في معرض ضياع تفسير ابن باديس "ننعى على السامعين إهمالهم لكتابة ما يسمعون فتضيع عليهم الفوائد التي يلقيها الأستاذ وقد تكون قيّمة، كما تضيع في عصرنا هذه الخطب والمحاضرات المرتجلة التي لا يكتبها ملقيها ولا متلقيها"<sup>3</sup>.

2- يؤخذ على هذه الطريقة أيضا أن المفسر قد يتناول مباحث لا تتعلق بالموضوع وقد يتناول علوما كثيرة وهو يفسر آية واحدة، مما قد يذهب بالوقت، وقد علق ابن خلدون على هذه الطريقة وذكر جملة من عيوبها حيث قال: "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يُخلط على المتعلّم علمان معا، فإنّه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كلّ واحد منهما إلى تفهّم الآخر فيستغلقتان معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة"<sup>4</sup>.

لقد كان محمد الخضر مولعا بهذه الطريقة، والذي يقرأ ما أورده في كتاب الرحلات وغيره من الكتب التي دون فيها ما كان يقع في مجالسه، يرى كيف كان يكثر من الاستطرادات، ويتناول فنونا عدة في عرض مسألة قد تتعلق بالنحو أو الفقه أو الأصول أو التفسير خاصة، وبالأحرى إذا كان الحضور جميعا طلباً للعلم، حيث نراه لما عُرض عليه إلقاء درس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾ (التوبة: 122) فكر في المنهج الذي سيتبعه في تحرير الدرس، فسبق إليه استحسان إبرازة في الأسلوب المتعارف في جامع الزيتونة، فلا يسئل يده من تقرير ما يناسب من مباحث عربية أو أصولية، أو أحكام فرعية؛ لأن المقترحين للدرس أزهريون"<sup>5</sup>، لكنه لما جلس إلى حلق بعض العلماء في الجزائر، ومنهم عبد القادر المجاوي (1264هـ الموافق ل 1848م - توفي سنة 1332هـ - 1913م)، الذي راقته طريقته في الدرس، وعرضه لمسائل الموضوع دون الخروج إلى مواضيع آخر

<sup>1</sup> - عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 02، 1408 هـ - 1988 م، ج1 ص 734.

<sup>2</sup> - عبد الله بن أحمد قادري - معارج الصعود إلى تفسير الشنقيطي لسورة هود، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1408هـ-1988م: ص 12.

<sup>3</sup> - آثار البشير الإبراهيمي، ج01 ص341.

<sup>4</sup> - ابن خلدون - ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب: ج1 ص 736.

<sup>5</sup> - محمد الخضر حسين، الرحلات، ص56.

قد لا يكون لها صلة بالموضوع من قريب أو بعيد، علق - محمد الخضر- على دروس المجاوي التي كانت في شرح جوهر التوحيد، وكذا في الأربعين النووية فقال مستحسنا: " نستحسن من دروس هذا الشيخ- الشيخ عبد القادر المجاوي- اقتصاره في كل فن على تقرير مسأله التي يشملها موضوعه، وعدم خلط بعضها ببعض"<sup>1</sup>، ثم عبّر عن استفادته من هذه الطريقة التي رآها على الشيخ المجاوي، وأثرها في دروسه ومحاضراته بعد هذا، "وقد كنت -عافاكم الله- ممن ابتلي درسه باستجلاب المسائل المختلفة الفنون، وأتوكأ في ذلك على أدنى مناسبة، حتى أفضى الأمر إلى أن لا أتجاوز في الدرس شطر بيت من ألفية ابن مالك -مثلاً-، ثم أدركت أنها طريقة منحرفة المزاج، عقيمة عن الإنتاج، ونرجو أن تكون توبتنا من سلوكها توبة نصوحاً"<sup>2</sup>.

أما الذين حفظت تفاسيرهم الصوتية وإنما ساعدهم على ذلك أمران:

- 1- حرصهم على تدوين ما كانوا يلقونه من تفسير، أو ما كان يعرض لهم من أسئلة، فيدونون ذلك عن قرب وربما فاتهم شيء مما كان ينبغي تدوينه بسبب طول العهد بتلك المجالس فقد لا تسعف الذاكرة في استحضار كل ما دار في تلك المجالس.
- 2- ظهور وسائل الإعلام التي كانت تسجل ما يذاع من تفسير عبر جهاز الراديو أو التلفاز مما مكن من تفرغها في حياة المفسر فيعدل ما يراه بحاجة لذلك، وإلا فإنها تفرغ بعد وفاته .

ومع هذا كله فلا يجحد هذا الجهد من هؤلاء المفسرين ولا ينبغي بحسبهم فقد كان لتفاسيرهم الشفوية أثرها الكبير في ثقافة وأخلاق مختلف الشرائح خاصة الناشئة، ومن هنا يتضح أن هذا النوع وهذه الوسيلة أثبتت جوانب إيجابية في إيصال التفسير وإن كانت لا تخلو من بعض الاستدراكات، وقد نوه- أبو القاسم سعد الله - بفضل هذا النوع من الوسائل لإيصال تفسير كتاب الله فكان "هذا الجيل من المفسرين الشفويين قد أدى دوره وبلغ رسالته عن طريق الكلمة الناطقة، وكون شبابا وبعث شعبا كاملا بوسائله البيانية غير القلم، ولكن تجربته ستظل محدودة في الزمن، لأنها توقف بتوقف اللسان عن البيان"<sup>3</sup>.

### 3.2 . عرض التفسير عبر وسائل الإعلام المقروءة والمكتوبة:

من الوسائل التي استغلها العلماء لتبليغ دعوة الله ونشر كتابه وبيان مراد الله، ميدان الصحافة والإعلام، وما زخر به هذا الميدان من وسائل كانت واسطة بين المتكلم والمتلقي، من أجل هذا أولاهها العلماء عناية بالغة، وكان لتفسير كتاب الله مكان بين هذه الوسائل، فكيف استطاع المفسرون-ومنهم محمد الخضر حسين وابن باديس - استغلال هذه الوسائل لبث ما تحتاجه الشعوب من فهم لكتاب الله عز وجل وما ينطوي عليه من أحكام؟.

تعتبر الصحافة إحدى الوسائل التي استغلها المفسرون لإيصال هذا العلم إلى أكبر شريحة من المجتمع، -خاصة في هذه الفترة التي عاصرها محمد الخضر وابن باديس - "فهي-أي الصحف- مدارس متجولة في البلدان، ليست محصورة بين جدران، ولا يختص بها مكان دون مكان، وهي أوسع دائرة للإرشاد من كل دوائر التعليم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص38 .

<sup>2</sup> - الرحلات، ص38 .

<sup>3</sup> - تاريخ الجزائر الثقافي: ج07ص13 .

<sup>4</sup> - الزيات، أحمد حسن- تاريخ الأدب العربي، دار نضرة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة، دط، 1981م، ص425.



من أجل هذا استغل هذا الفضاء للتواصل بين أهل الفكر على اختلاف مشاربهم وبين الشعوب على اختلاف مستوياتهم حيث كان الشيوخ "يتخذونها أداة لإبلاغ آرائهم، ونشر أفكارهم ودعوة الناس إلى مذاهب الخير التي يرتوونها"<sup>1</sup>، فوسائل الإعلام المقروءة والمكتوبة "هي الأداة المشروعة المعترف بها لكل جمعية لنشر دعوتها والدفاع عن نفسها"<sup>2</sup>، لقد كانت اللسان المعبر عن اهتمامات الشعوب، كما كانت الوساطة بين العلماء والأمة .

قال شوقي في شأن الصحافة والصحف:

لِكُلِّ زَمَانٍ مَضَى آيَةٌ  
لِسَانُ الْبِلَادِ، وَنَبْضُ الْعِبَادِ  
تَسِيرُ مَسِيرَ الضُّحَى فِي الْبِلَادِ  
وَتَمْشِي تُعَلِّمُ فِي أُمَّةٍ  
وَأَيُّهُ هَذَا الزَّمَانِ الصُّحُفُ  
وَكَهْفُ الْحَقُوقِ وَحَرْبُ الْجَنَفِ  
إِذَا الْعِلْمُ مَرَّقَ فِيهَا السَّدَفُ  
كَثِيرَةٌ مَنْ لَا يَخْطُ الْأَلْفُ<sup>3</sup>

لقد رأى رجال الفكر أن استغلال هذه الوسائل والاستفادة منها مسؤولية وواجب؛ هدفه تحويلها إلى الوجهة الصحيحة " لخدمة الأهداف النبيلة والمباديء السامية والقيم المثلى، والبناء الصحيح لكيان أمة الإسلام ومجتمعها الواسع المترامي، والعودة بها إلى المعين الصافي كتاب الله وسنة رسول الله"<sup>4</sup>.

ومن كانوا يُنَشِّطُونَ الْأَكْفَاءَ عَلَى إِنْشَاءِ الصَّحَفِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْمَجَلَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ: "طاهر الجزائري"، فكم من مجلة أو جريدة أنشئت في القطر السوري أو المصري بتنشيطه ومؤازرته، وقد كان "يرى أن مطالعة مقالة علمية في مجلة أو جريدة أكثر فائدة من كثير من الدروس الحافلة بالمئات"<sup>5</sup>، وهو الرأي ذاته الذي رآه وأيده جمال الدين القاسمي فقد قال: "مقالة في جريدة خير من ألف درس للعامة"<sup>6</sup>.

وقد ظهرت صحف ومجلات، تنوعت مواضيعها ومجالاتها، خاصة الصحف ذات الطابع الإسلامي أو اللغوي، وكان للتفسير حضوره في هذه الصحف والمجلات، حيث كان يخصص للتفسير ركن أو عمود، قد يكون مفتوحاً للعلماء يكتبون فيه، وقد يخصص لواحد من العلماء المفسرين، يستقل به ويدون تفسيره.

<sup>1</sup> - طلس، محمد أسعد - محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، ط1، 2013م، ص35.

<sup>2</sup> - آثار ابن باديس :ج3 ص61 .

<sup>3</sup> - أحمد شوقي، الشوقيات، ص215 .

<sup>4</sup> - الوشلي، عبد الله قاسم، الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر، دار عمار للنشر والتوزيع، اليمن- صنعاء، ط2، 1414هـ- 1994م: ص25.

<sup>5</sup> - الباني، محمد سعيد، تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، مطبعة الحكومة العربية السورية، دط، 1339هـ- 1920م: ص71.

<sup>6</sup> - العجمي، محمد ناصر، الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط01، 1422هـ-

2001م: ص56.

فصدرت صحف ومجلات لمؤسسات وجمعيات، مثل الصحف والمجلات التي أصدرتها جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها "حسن البنا"، ورأس تحرير العديد من مجلاتها الصادرة عنها كجريدة "الإخوان المسلمون"، و"مجلة الشهاب"، وقد اعتنتنا بعناية بالغة بالقرآن الكريم وتفسيره<sup>1</sup>، وكذا صحف أصدرها أفراد.

ومن أركان هذه الحركة البارزين الذين كانت لهم بصمتهم الواضحة في التفسير: سيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن" وباقي مؤلفاته في الدراسات القرآنية، وكان منطلق سيد قطب في تفسيره المسمى "في ظلال القرآن" عنوانا لمقالاته التفسيرية التي كان ينشرها في مجلة المسلمون الصادرة عام 1951م، وقد نشر الحلقة الأولى من سلسلة (في ظلال القرآن) ثم استمر إلى سبع حلقات في سبعة أعداد متتابعة، وكان يفسر آيات القرآن حسب تسلسل المصحف، ووصل في نهاية الحلقة السابعة إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (البقرة: 103) عند ذلك بدا لسيد قطب أن يكتب تفسير القرآن في كتاب وليس في مقالات في مجلة المسلمون<sup>2</sup>.

وقد توجه كل من محمد الخضر حسين وابن باديس إلى ميدان الصحافة وإنشاء المجلات حيث أنشأ محمد الخضر حسين مجلة السعادة العظمى، التي لقيت قبولا واسعا داخل تونس وخارجها، وقد تحدث محمد الخضر عن إنشاء هذه المجلة وعن الظروف التي اكتنفها من معارضة وتأيد: "وقد كنت - بعد أن نلت درجة العالمية من جامعة الزيتونة - أنشأت مجلة علمية أدبية، وهي أول مجلة أنشئت بالمغرب، فأنكر عليّ بعض الشيوخ، وظن أنها تفتح باب الاجتهاد؛ لأني قلت في أول عدد منها: "ودعوى أن باب الاجتهاد مغلق لا تُسمع إلا مع دليل يبطل الدليل الذي انفتح به أولاً"<sup>3</sup>، "وساء بعضهم صدورها لما اتسمت به من نزعة الحرية في النقد واحترام التفكير السليم، ولتأييدها فتح باب الاجتهاد"<sup>4</sup>. ثم ذكر تشجيع بعض العلماء له فقال: "وشجعني على إنشائها شيخنا أبو حاجب، وقال لي في باب الشفاء من جامع الزيتونة: أقول لك ما قاله ورقة بن نوفل: "ما أتى أحد بمثل ما جئت به، إلا عودي"، كما أثنى عليها رشيد رضا بقوله: "وقد سررتنا من هذه المجلة أنها دلت على تساهل من دولة فرنسا مع المسلمين في نشر العلم كما توقعنا، وعلى توجه المشايخ المشتغلين بالعلوم الإسلامية إلى الصحافة"<sup>5</sup>.

ومن المجلات التي أنشأها مجلة الهداية الإسلامية، وكذا المجلات التي ترأس تحريرها كمجلة "نور الإسلام"، والتي صارت تسمى مجلة الأزهر، ومجلة لواء الإسلام، هذه المجلات كانت منبرا لمحمد الخضر، ينشر فيها مقالاته وبحوثه، منها مقالات وبحوث تتعلق بتفسير كتاب الله، بل إن كتابه أسرار التنزيل تفسير آيات قرآنية هو في الأصل مقالات ومواضيع كتبها في مجلات ودوريات مختلفة بهذا العنوان ثم جمعت في كتاب واحد<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: البنا، حسن، نظرات في كتاب الله، جمع وتحقيق: عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ط، مصر- القاهرة، 1423هـ-2002م: ص63 وما بعدها.

<sup>2</sup> - الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط03، 1429هـ-2008م.

<sup>3</sup> - محمد الخضر حسين، دراسات في الشريعة الإسلامية، ص130.

<sup>4</sup> - مجلة البيان، عدد 3، ص73.

<sup>5</sup> - رشيد رضا، مجلة المنار، ج07 ص149.

<sup>6</sup> - علي الرضا- مقدمة أسرار التنزيل: ص03-04.

وقد تحدث محمد الطاهر الميساوي عن العدد الكبير من المقالات التي نشرها الطاهر بن عاشور صديق الخضر حسين وأشار إلى تينك المجلتين اللتين أصدرهما "محمد الخضر"، وأمد بقائهما فقال: "ومن تلك المجالات والصحف ما لم يُمدد في عمره إلا برهة قصيرة فكان حاله كبارق صيف مثل مجلة "السعادة العظمى" التي أنشأها زميله وصديقه الشيخ محمد الخضر حسين في تونس، ومنها ما عُمر لسنوات عدة شبَّ فيها وما اكتهل مثل مجلة "الهداية الإسلامية" التي أسسها كذلك الشيخ الخضر في القاهرة"<sup>1</sup>.

وكانت مجلة "لواء الإسلام" تنشر في كل عدد منها تفسيراً للقرآن، وكان يتولاه الشيخ الخضر حسين، وواصل تفسيره حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ (البقرة: 194)، وأرجع بعضهم الأسباب التي جعلت محمد الخضر يقف عند هذا الحد إلى أسباب نفسية، لم تكن من صاحب المجلة الرجل الطيب، فاعتذر، وطلب إلى غيره أن يتم ما بدأه<sup>2</sup>.

أما علي الرضا الحسيني - ابن أخ محمد الخضر حسين وجامع آثاره - فإنه أرجع سبب توقف محمد الخضر إلى أنه: "أثقلته السنون، وقد قارب عمره الطاهر على الثمانين عاماً، وتحت وطأة الشيخوخة، توقف عن متابعة هذا الجهد الرائع، والإنتاج الفكري العظيم"<sup>3</sup>.

لم تقتصر منشورات محمد الخضر حسين في التفسير وغيره على المجالات التي أسسها أو رأس تحريرها بل تعداه إلى مجالات أخرى في المشرق والمغرب، فقد دون مقالات في مجلة المنار، وأخرى في مجلة الفتح التي أسسها "محب الدين الخطيب"، كما أسهم اسهاماً كبيراً في المجالات التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ ابن باديس، وقد أشاد ابن باديس بتلك المساهمة وذلك الدعم الذي أولاه محمد الخضر لمجلات الجمعية، ومنها صحيفة الشهاب، فقال في شأنه: "العلامة الجليل الأستاذ السيد محمد الخضر حسين في مقدمة الأفاضل الذين أمدوا هذه الصحيفة بآثار فضلهم من سنتها الأولى إلى الآن، فما هوجم الإسلام في وقعة إلا وكان للأستاذ -حفظه الله- دفاع أمتن من الفولاذ، وأرسخ من الجبال الراسيات"<sup>4</sup>.

ووضح ابن باديس السبب الذي دفعة للكتابة في موضوع: "العلماء وأولي الأمر"، ألا وهو مقال جليل نفيس نشرته مجلة: "الهداية الإسلامية" بقلم أستاذنا العلامة الجليل الشيخ الخضر بن الحسين الطولقي الجزائري التونسي ثم المصري تحت عنوان (العلماء وأولو الأمر)<sup>5</sup> فأحببت أن أنقله إلى قراء (الشهاب)<sup>6</sup>.

لقد أدرج ابن باديس هذا المقال ضمن أعداد مجلة الشهاب اعترافاً بفضل شيخه الخضر حسين، وتذكيراً لما كان يتلقاه بين يديه من دروس في التفسير والمنطق وغيرها من العلوم فلم ينس فضل عليه وجلوسه بين يديه متلقياً للعلم خاصة علم التفسير فنرى ابن

<sup>1</sup> - الميساوي محمد الطاهر، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، دار النفائس، الأردن، ط01، 1436 هـ - 2015 م، ج1 ص11-12.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، دط، دس ط. ج 1 ص 22.

<sup>3</sup> - مقدمة أسرار التنزيل: ص03.

<sup>4</sup> - آثار ابن باديس: ج04 ص149.

<sup>5</sup> - نص مقال: "العلماء وأولو الأمر" موجود في كتاب لمحمد الخضر حسين بعنوان: الدعوة إلى الإصلاح: ص98 وما بعدها.

<sup>6</sup> - آثار ابن باديس: ج3 ص420.

باديس يدون قائلا " وأحببت أيضا أن تكون مقدمتي هذه الصغيرة أمام ذلك المقال الكبير، تذكرة لجلوسي لتلقي تهذيب المنطق بين يدي الأستاذ بجامع الزيتونة- عمره الله- ولسماع دروس من صدر تفسير البيضاوي بدار الأستاذ بشارع باب منارة من تونس الخضراء العزيزة حرسها الله"<sup>1</sup>.

مشيرا إلى المكانة المرموقة والقيمة التي نالها محمد الخضر بين الشعوب مشرقا ومغربا: "والسيد محمد الخضر -حفظه الله - محبوب من كل محب للإسلام، معروف فضله لكل من اتصل به من أبناء الشرق والغرب، وقد تعود من صدر حياته أن يحمل دنياه على آخرته، وأن يضحى بالأولى في سبيل الأخرى إذا تعارضتا"<sup>2</sup>.

هذا المسلك في تدوين التفسير عبر المجالات والدوريات كان هو هجّير العلماء والطريق الأسهل لوصول معاني كتاب الله إلى أكبر عدد وأبعد مدى، وقد اختار ابن باديس أيضا هذا النهج وكان له مقال دائم في التفسير بعنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" ينشره في المجالات التي أصدرها أو أصدرتها جمعية العلماء المسلمين، مثل "مجلة الشهاب" فقد ضمت هذه المجلة مقالاته في التفسير وكان أمره وشأنه كشأن محمد الخضر الذي كان تفسيره "أسرار التنزيل" عنوانا لمقالاته التي دونها في مختلف المجالات التي أصدرها أو ترأس تحريرها، وإنما جمعت تلك المقالات بعد وفاته، جمعها ابن أخيه على الرضا الحسيني في كتاب واحد عنوانه أسرار التنزيل، وهو العمل ذاته الذي وقع لابن باديس، فبعد وفاته قام أحمد بوشمال بجمع تلك المقالات ثم نشرها وأضاف إليها إضافات مهمة وعلق عليها أحمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين<sup>3</sup>.

ويرجع قلة التأليف عند ابن باديس إلى اشتغاله بإعداد الرجال وتسخير معظم وقته لحلّق التعليم ومجالس التدريس للخاصة والعامّة، ومهما كان الأمر، فإن تفسير ابن باديس، رغم أنه جزئي وأنه ظهر في شكل مقالات افتتاحية لمجلة الشهاب، فقد تضمن منهجا لدراسة القرآن وفهمه وتقديمه للجمهور الإسلامي، متعلما وغير متعلم، وربما لو عاش ابن باديس طويلا لتفرغ لكتابة تفسير آخر شامل للقرآن كله، وبأسلوبه المذكور، لأن الوفاة قد أدركته وهو في أوج العطاء الفكري، على أنه يكفيه أنه قد وضع العلامات في الطريق<sup>4</sup>.

هذه هي الوسائل التي اعتمدها كل من محمد الخضر حسين وعبد الحميد بن باديس في نشر هذا العلم علم التفسير وهذه هي الوسائل التي استطاعا من خلالها الوصول إلى عامة الناس متعلمهم وغير المتعلم فقد اجتهدا في حدود ما أتيح لهما.

### 3. خاتمة:

بعد هذا العرض للوسائل التي استعملها كل من محمد الخضر حسين وابن باديس-رحمهما الله- في بث تفسير القرآن الكريم يظهر لنا التشابه الكبير بين الطريقتين :

<sup>1</sup> - المرجع نفسه :ج03 ص421 .

<sup>2</sup> - آثار ابن باديس، ج04 ص146 .

<sup>3</sup> - نادية وزناجي، التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث(أطروحة دكتوراه)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة،(2008م).

<sup>4</sup> - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج07 ص22 .

فكل منهما جعل من محاضن التعليم مكانا لتدريس التفسير وإن كان لزوم ابن باديس للمسجد أكثر منه عند محمد الخضر فقد كان هذا الأخير -بحكم الوظائف التي تقلدها- ألزم بالجامعات الكبرى -الزيتونة أولا ثم الأزهر- حيث نُصب مدرسا فيه ما يقرب من عشرين سنة وشيخا له مدة سنتين لهذا كان أكثر تفسيره يلقي لطلبة العلم .

ووفق ابن باديس لحتم تفسير كتاب الله تفسيراً شفهياً، في حين لم نر ذلك عند محمد الخضر ويرجع السبب إلى كثرة ترحال محمد الخضر حسين وسياحته وكذا الوظائف التي أنيطت به وكذا اشتغاله بالتدريس بجامع الزيتونة والأزهر والذي ألزمه برامج ومقررات لا محيد عنها.

كان محمد الخضر كثيراً ما يدون ما جرى في رحلاته ومسامراته ويستذكر ذلك ويقيده في حين لا نرى ابن باديس يعتني بالتأليف والكتابة إلا ما كان يكتبه في المجالات التي كان يصدرها أو يساهم في الكتابة فيها.

كان ابن باديس أكثر احتكاكا بالجماهير والعامّة بينما كان محمد الخضر أكثر احتكاكا بطلبة العلم والنخبة وأهل الفكر وإن كانت مجالسه داخل المساجد لا تخلو من اللقاء بعامّة الناس على اختلاف مستوياتهم.

ومن التوصيات التي يمكن إدراجها:

1. الحرص على تسجيل ما يلقيه المفسرون- في المساجد أو قاعات المحاضرات- حتى لا يضيع تفسيرهم مثلما ضاع تفسير ابن باديس.

2. استغلال وسائل التواصل الحديثة في تفسير كتاب الله .

3. استغلال الوسائل السمعية والبصرية قدر الإمكان لتقييد ما يلقيه المفسر .

4. أن يحرص المفسرون في هذا العصر -ممن يعتمدون على الإلقاء- على إفراغ ما حوته المسجلات وإعادة صياغته وترتيبه، وذلك لما بين الكلام المرتجل والكلام المكتوب من الفرق من حيث الترتيب والتنظيم والتناسق ونسبة الأقوال إلى أصحابها .

#### 4. قائمة المراجع:

##### • المؤلفات :

1. الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير بن جميل راضي، (جدة: رابطة العالم الإسلامي 1417هـ)..
2. عبد الحميد محمد بن باديس، آثار ابن باديس، عمار طالبي ( الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية 1388 هـ 1968 م)
3. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).
4. محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، (مصر: مجمع البحوث بالأزهر، 1390هـ - 1970م).
5. محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن، علي رضا الحسيني، (سورية : دار النوادر، 1421هـ-2010م).

6. محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين 13-14هـ/19-20، (تونس: مطبعة الرشيد، 2009م).
7. محمد الخضر حسين، الرحلات، (سورية: دار النوادر، 1431هـ-2010م).
8. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1998م).
9. الحجوي محمد الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، (لبنان: دار الكتب العلمية 1416 هـ - 1995 م).
10. محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م).
11. محمد العيد، آل خليفة - الديوان، (عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر، 2010م).
12. عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب، (بيروت: دار الفكر 1408 هـ - 1988 م).
13. عبد الله بن أحمد قادري، معارج الصعود إلى تفسير الشنقيطي لسورة هود، (جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، 1408هـ-1988م).
14. الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1981م).
15. محمد أسعد طلس، محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2013م).
16. عبد الله قاسم الوشلي، الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر، (اليمن-صنعاء: دار عمار للنشر والتوزيع 1414هـ-1994م).
17. محمد سعيد الباني، تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، (سورية: مطبعة الحكومة العربية السورية، 1339هـ-1920م).
18. العجمي، محمد ناصر، الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، (بيروت-لبنان: دار البشائر الإسلامية، 1422هـ-2001م).
19. حسن البناء، نظرات في كتاب الله، عصام تليمة، (مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1423هـ-2002م).
20. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، (دمشق: دار القلم، 1429هـ-2008م).
21. محمد الخضر حسين، دراسات في الشريعة الإسلامية، (سورية: دار النوادر، 1431هـ-2010م).
22. الميساوي محمد الطاهر، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، (الأردن: دار النفائس، 1436 هـ - 2015 م).
23. محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (القاهرة: دار الفكر العربي دس ط).
24. نادية وزناجي، التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث (أطروحة دكتوراه)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (2008م).

#### ● المقالات:

1. أحمد عبد العزيز أبو عامر، علماء معاصرون، مجلة البيان، مج 01، عدد 3، ربيع الآخر، 1407هـ، ص 73.
2. رشيد رضا، تقریظ، مجلة المنار، مج 07، عدد 02، 16 صفر 1322هـ، ص 149.